

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل

الاجتماعي والإصلاح بين الناس

- إرساء مبدأ التكافل في ضوء الكتاب والسنة -

أ.د. نصر سلمان

جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة

إن العمل الخيري يساهم في الاستقرار الاجتماعي وذلك بالقضاء على الظواهر الاجتماعية السلبية كالتسول والتشرد ونقص الغذاء والكساء وتفشي الأمراض، والفاقة في بعض فئات المجتمع، مما تنجر عنه حالات من الاكتئاب، والنقمة على الأغنياء، وحسدهم وبغضهم، وتمني زوال النعمة عنهم، مما يؤدي إلى نخر أسس وروابط الأخوة والجوار والمحبة والرحمة والمودة والتكافل بين أفراد المجتمع، مما يجعل تدخل العمل الخيري أمراً حتمياً للقضاء على ذلك، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي، وهذا بإرجاع البسمة إلى شفاه هذه الفئات الحائرة، وذلك بكفالة الأرمال والأيتام، وبناء مراكز لإيوائهم، وإقامة المخيمات العائلية للعائلات المعوزة والمحرومة، وفتح مطاعم الرحمة للإفطار الجماعي، وتوزيع قفة رمضان، وختان أبناء الفقراء وتوفير كسوة العيد لفائدة الفئات الكادحة، وبناء المستشفيات وتوفير العلاج والدواء المجانيين للفقراء وتوزيع الأدوات المدرسية على التلاميذ المعوزين.

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان
فالحاجة خطر على الأخلاق والسلوك إذ تؤثر تأثيرا بالغا على أخلاق
الإنسان وسلوكه، فقد تقود بعض الناس إلى السرقة، أو التسول، أو السطو على
ممتلكات الغير بدافع سد جوعاتهم وستر عوراتهم، أو بدافع الانتقام من هؤلاء
الأغنياء الذين فضلهم الله عليهم في الرزق ، ويخلوا به على أبناء دينهم
ومجتمعهم بنزر يسير مما حباهم الله به ، وصدق الشاعر العربي حيث قال :

ومن يتقلب في النعيم شقي به إذا كان من آخاه غير منعم

كما لم يكونوا ممن قال فيهم الشاعر:

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى بيتن خمائصا

هذا إضافة إلى أن الفقر المدقع يلجئ بعض الناس قصد تحصيل حاجياتهم
ومتطلبات أسرهم الضرورية إلى التلبس ببعض الأخلاق الذميمة للوصول إلى
مبتغاهم جاعلين نصب أعينهم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، فقد يضطرون إلى
الاستدانة والاختلاس والكذب وعدم الالتزام بالعهد ، وكل الخصال الذميمة
التي توصلهم لمصدر الغذاء والكساء، مما يؤثر على الأخلاق الفاضلة المنتشرة
في المجتمع بل يقوض أركانها من القواعد، وقد بين الرسول صلى الله عليه
وسلم خطر الفقر على الفرد إذ يضطره إلى الاستدانة ، وعدم القدرة على الوفاء
به بسبب إعساره الشديد مما يجعله يقدم على ارتكاب بعض الكبائر والتلبس
ببعض صفات المنافقين كالكذب وإخلاف الوعد مما يؤثر على طهارة ونقاوة
المجتمع الذي يعيش فيه، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا غرم -
استدان- حدث فكذب، ووعد فأخلف»⁽¹⁾ ، وهذا دليل على أن الفقر في بعض
الأحيان يقود إلى الكذب وعدم الوفاء بالعهد وغير ذلك من الآثار السلبية ،

(1)- البخاري: الجامع الصحيح . بالفتح . ، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس،
باب من استعاد من الدين، 5/ 76.

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان
فالعمل الخيري يحاول القضاء على الفقر وما ينجر عنه من آثار وبالتالي يحقق
الاستقرار الاجتماعي .

. كما يساهم العمل الخيري في القضاء على البطالة وما ينجر عنها من آثار
سلبية، وذلك بتوفير مناصب شغل للعاطلين عن العمل أو إمدادهم بقروض
حسنة يقيمون بها مشاريع صغيرة، تجعلهم بعد فترة يساهمون هم الآخرون في
الأعمال الخيرية المنوطة باستقرار المجتمع، وبناء كينونته، مما يجعل أثر العمل
الخيري مجسدا في واقع الناس وذلك بالمساهمة في الاستقرار الاجتماعي ،
عن طريق الحد والقضاء على الكثير من الجرائم المترتبة عن البطالة كالسرقة
والسطو والنهب ، بل والقتل من أجل الحصول على المال .

ولقد بين الفقهاء رحمهم الله مكانة الزكاة في القضاء على البطالة حيث إنها
تلعب دور الممول إذ تصرف للفقراء والمساكين ما يعينهم على العمل
والتكسب ، وفي هذا يقول الإمام النووي -رحمه الله-: « قالوا: فإن كانت عاداته
الاحتراف أعطي ما يشتري به حرفته أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت،
ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالبا تقريبا، ويختلف
ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص...»⁽¹⁾.

ونحن في هذا المقام نقيس العمل الخيري على الزكاة، وذلك بتمويل
المشاريع الاستثمارية للقضاء على البطالة وحث الفقراء العاطلين على العمل
للأكل من عرق جبينهم.

هذا وقد حث الإسلام على العمل ، في العديد من نصوص القرآن الكريم
والسنة النبوية المطهرة ومن ذلك قوله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون " التوبة 105 إذ لا شك أن العمل في الآية لا يقتصر على

⁽¹⁾- النووي : المجموع شرح المذهب، 6 / 194.

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ. د. نصر سلمان
الأعمال الدينية العبادية فقط ، وإنما يعم جميع الأعمال الأخرى دينوية أم
أخروية، كما نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العمل في أحاديث
عديدة منها: « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي
الله داود كان يأكل من عمل يده»⁽¹⁾.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-
يَسْأَلُهُ فَقَالَ « أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ». قَالَ بَلَى جِلْسٌ⁽²⁾ تَلْبُسُ بَعْضُهُ وَتَنْسُطُ بَعْضُهُ
وَقَعْبٌ⁽³⁾ تَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ « اثْنَيْنِ بِهِمَا ». فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ
-صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ وَقَالَ « مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ». قَالَ رَجُلٌ أَنَا أَخُذُهُمَا
بِدَرَاهِمٍ. قَالَ « مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ رَجُلٌ أَنَا أَخُذُهُمَا
بِدَرَاهِمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ « اشْتَرِ
بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَأَنْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأَتِنِي بِهِ ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ
فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ « أَذْهَبَ فَاحْتَطَبَ وَبِعَ
وَلَا أَرَيْتَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطَبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ
عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله
عليه وسلم- « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(1)- البخاري: الجامع الصحيح . بالفتح . ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده،
384/4.

(2)-جلس: جلس البيت ما يسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه. ابن منظور: لسان العرب،
167/4.

(3)-قعب: القعب القدح الضخم، الغليظ الجافي، وقيل قدح من خشب مقعر. الزبيدي: تاج
العروس من جواهر القاموس، 35/ 4.

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس د.د. نصر سلمان
إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَضْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ لِّذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِّذِي غُرْمٍ مُفْطِعٍ أَوْ لِّذِي دَمٍ
مُوجِعٍ⁽¹⁾.

كما أن العمل الخيري يركز على توعية الناس بالمساهمة في مساعدة هذه
الفئات المعوزة ، لأن ديننا الحنيف يحث على ذلك وفي هذا المجال نذكر
ببعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والتي تحث المؤمن على الشعور
بأخيه المؤمن ومساعدته إن كان في حاجة إلى ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما آمن بي من بات شبعان وجاره
جائع إلى جنبه وهو يعلم به " .⁽²⁾

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ
مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ
أَخِيهِ »⁽³⁾

فالعمل الخيري يزرع الاستقرار والطمأنينة في نفس المعطي ، لأن من
يساهم بماله في الأعمال الخيرية يشعر بأن هذا العمل يؤدي إلى نماء المال
وزرع البركة فيه، فإن هذا الجزء القليل الذي يدفعه يعود عليه أضعافا مضاعفة
بالبركة في الدنيا، وبالثواب العظيم في الآخرة.
ولقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تبين ذلك .

⁽¹⁾ - ابن ماجه : السنن ، باب : بيع المزايدة 2 / 740 ، و أبو داود : السنن ، كتاب الزكاة ، باب ما
تجوز فيه المسألة ، قال الألباني : ضعيف ، ينظر : ضعيف سنن أبي داود ، ص 128 ، وقال
الترمذي حديث حسن ، ينظر : المنذري : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، 2 / 143 .

⁽²⁾ المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال 9 / 53 .

⁽³⁾ أحمد : المسند 252/2 .

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان

فمن الآيات القرآنية :

. قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾
[سبأ: 39]،

. وقوله أيضا : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوتَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ
وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: 39]،
. وقوله أيضا: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276].
ومن الأحاديث النبوية الشريفة :

. ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك»⁽¹⁾.

. و قوله ﷺ : « مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »⁽²⁾.

. وقول النبي ﷺ أيضا: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفًا»⁽³⁾،
ودعاء الملائكة مستجاب كما هو معلوم .

. وقول ﷺ : «من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب . ولا يقبل الله إلا الطيب .
، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل

⁽¹⁾- البخاري : الجامع الصحيح . بالفتح .، كتاب النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل وقول
الله عز وجل: "وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ...." 9 / 497 .

⁽²⁾- مسلم : الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والأدب، باب: استحباب الغفو والتواضع، ح
رقم: 2588.

⁽³⁾- البخاري : الجامع الصحيح . بالفتح .، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ
وَأَتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى... " 3 / 304 .

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان الجبل⁽¹⁾.

كما أن من يساهم في العمل الخيري يحرص على تنمية ماله لكي يساهم به مرة أخرى ويشعر بأنه يتصف بصفات المتقين الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿الْم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 1-3].

والذي يعتاد الإنفاق مما بيده لغيره، والبذل من ملكه موساة لإخوانه، ومساهمة في مصالح أمته، يبعد أشد البعد أن يعتدي على مال غيره ناهبا أو سارقا، فإنه ليصعب على من يعطي من ماله ابتغاء مرضاة الله، أن يأخذ ما ليس له ليجلب على نفسه سخط الله⁽²⁾.

هذا وإن العمل الخيري يربط بين أفراد المجتمع برابط الأخوة والمحبة والتعاون، فإن الناس إذا علموا في الإنسان رغبته في نفعهم، وسعيه في جلب الخير لهم، ودفع الضرر عنهم أحبوه بالطبع، ومالت نفوسهم إليه لا محالة⁽³⁾، وتصعد إلى الله دعواتهم وتضرعاتهم من أجل هؤلاء الأغنياء الكرماء⁽⁴⁾، فصارت الدعوات سببا لبقاء ذلك الإنسان في الخير الخصب⁽⁵⁾.

وصفة القول:

أن العمل الخيري المتمثل في التكافل الاجتماعي ، وشعور الأغنياء بالفقراء ومد يد العون لهم يحدث قفزة نوعية في مجال الاستقرار الاجتماعي ،

(1)- البخاري : الجامع الصحيح . بالفتح . ، كتاب الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب، 3 /

(2)-القرضاوي: فقه الزكاة، 351-353.

(3)-القرضاوي: فقه الزكاة 360.

(4)-حسن أيوب: الزكاة في الإسلام 35، وفقه العبادات بأدلتها في الإسلام، 346.

(5)-القرضاوي: فقه الزكاة 360.

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان
إذ بدلا من أن يتحصل هؤلاء الفقراء على حاجياتهم عن طريق السرقة والسطو
والنهب والكذب يحصلون عليها عن طريق الحلال المتمثل في أخذ الصدقات
والأعطيات من الأغنياء راضية بها نفوسهم مطمئنة بها قلوبهم قريرة بها
عيونهم، كما أن تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي في العمل الخيري يؤدي إلى
القضاء على الروح الانتقامية المشحونة بالحسد والكره والبغض للأغنياء مما
يجعل المجتمع يعيش في تآخ ووثام واستقرار، تسوده الأخوة الصادقة .

كما يسهم العمل الخيري في القضاء على المشاكل الاجتماعية والخلافات
الأسرية ، وذلك عن طريق تفعيل دور الجمعيات التي تهتم بفض هذه النزاعات
عن طريق جلسات الصلح ، قصد المحافظة على طهارة المجتمع وخلوه من
الآفات الاجتماعية كالعداوات والشحناء والبغضاء والتفكك الأسري وقطع صلة
الأرحام والطلاق وتشرد الأطفال الذي يؤدي إلى نشأة جيل ناقم على مجتمع لا
يهتم بالمحافظة على أمنه واستقراره ، وفي بعض الأحيان تتفاقم هذه الخلافات
فتؤدي إلى إزهاق الأرواح من قتل وانتحار .

فكم من حروب أخدمت ودماء حفظت ومشاكل وخلافات أسرية حلت
بسبب الصلح، الذي حث المولى عز وجل عليه في عديد الآيات القرآنية
الكريمة ، والتي منها :

. قوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .⁽¹⁾
. وقوله عز وجل : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ.⁽²⁾

(1) سورة الحجرات ، آية رقم : 9 . 10 .

(2) سورة الأنفال ، آية رقم : 1 .

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان

. وقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁾

. وقوله تعالى في الصلح بين الزوجين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾⁽²⁾

. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]

كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلح في أحاديث متعددة منها:

. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَغْدُلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ " ⁽³⁾

. وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ ؟ قَالَ : قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ " ⁽⁴⁾ ، وللترمذي " لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " .

- وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانُوا بَيْنَهُمْ شَرًّا ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنْاسٍ مَعَهُ ، فَحُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(1) سورة النساء ، آية رقم : 114 .

(2) سورة النساء ، آية رقم : 35 .

(3) البخاري : الجامع الصحيح . بالفتح . ، كتاب : الصلح ، باب : فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم 5 / 309 .

(4) أحمد : المسند 6 / 444 ، والترمذي : السنن 4 / 663 ، وقال : صحيح .

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس د.أ. نصر سلمان
 الله عليه وسلم - وَحَانَتْ الصَّلَاةُ ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
 فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ حُسِرَ وَحَانَتْ
 الصَّلَاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُؤَمَّ النَّاسَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ شَيْئًا ، فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ ،
 وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ ، وَكَانَ أَبُو
 بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا يَلْتَفِتُ فِي الصَّلَاةِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ
 التَّفَتَّ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَرَجَعَ
 الْقَهْقَرَى... " (1)

فالملاحظ من خلال هذا الحديث الأخير حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الإصلاح بين الناس إلى درجة أنه تأخر عن الصلاة من أجل القيام بهذه المهمة العظيمة ، بل لدرجة أنه صلى الله عليه وسلم رخص في الكذب من أجل الإصلاح بين الناس وتحقيق الاستقرار في المجتمع ، فعن حميد بن عبد الرحمن أن أمه أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَقُولُ « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنِمِّي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا » (2).

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: " وَلَمْ أَسْمَعْ يُرْخَصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا إِلَّا فِي ثَلَاثِ الْحَزَبِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ رَوْجَهَا. "

(1) البخاري : الجامع الصحيح . بالفتح .، كتاب: الأذان، باب : من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول 2 / 167 .

(2) البخاري : الجامع الصحيح . بالفتح . كتاب : الصلح ، باب : ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس 5 / 299 .

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان

وعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ كَذِبُ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ لِيَرْضَى عَنْهُ أَوْ كَذِبٌ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ أَوْ كَذِبٌ فِي إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ " (1)

والعمل الخيري يركز على توعية أفراد المجتمع بالصبر والتماس الأعذار ولم الشمل، والنظر إلى الإيجابيات وتعظيمها، وغيظ النظر عن السلبيات وتحقيرها، خاصة بين الزوج وزوجته ، امتثالاً لتعاليم الإسلام حيث قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (2)

وقال عز وجل أيضاً: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشْوَرًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (3) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا ، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » (4) .

كما يركز العمل الخيري على نبذ الخلاف والشقاق والحسد والتباغض بين أفراد المجتمع ، وبيان كونه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ، وهذا ما تبينه الأحاديث الآتية :

(1) أحمد: المسند 6 / 459 .

(2) سورة النساء ، آية رقم : 19 .

(3) سورة النساء ، آية رقم : 128 .

(4) مسلم : الجامع الصحيح ، باب الوصية بالنساء ، 4 / 178 ، أحمد: المسند 2 / 329 .

أثر العمل الخيري في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي والإصلاح بين الناس أ.د. نصر سلمان
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا
تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلَا يَجُلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ
فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ " .⁽¹⁾

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا
رَجُلٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ ، فَيَقَالُ : أَتْرَكُوا ، أَوْ أَنْظَرُوا هَذَيْنِ حَتَّى
يُضْطَلِحَا " .⁽²⁾

ومجمل القول :

أن تفعيل دور العمل الخيري في الإصلاح بين المتخاصمين، ونبذ الشقاق
والخلاف بينهم، يؤدي إلى فض الخصومات، التي غالباً ما تكون مقترنة بجرائم
لفظية أو بدنية، تهز كيان المجتمع، وتضربه في مقتل، مما يستدعي لعب دور
المطفئ للنار التي اشتعل أوارها، واحمر جمرها، وتناثرت جذوتها بين
المتخاصمين من قبل القائمين على العمل الخيري، قصد زرع المودة والمحبة
والتفاهم بين المتلاحين (المتخاصمين) لتحقيق الألفة والمودة وتقريب وجهات
النظر، هذه الأشياء التي من شأنها أن تعمق مبدأ الاستقرار وتجعل مجتمعاتنا
هادئة مطمئنة.

⁽¹⁾ البخاري: الجامع الصحيح . بالفتح . ، كتاب: الأدب ، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابير
.... 481/ 10 .

⁽²⁾ مسلم : الجامع الصحيح (4/ 1987 ، رقم 2565) .